

هل يسير "الإخوان" على الماء ويطيرون في الهواء؟!



الاثنين 20 يوليو 2020 02:07 م

عنوان أو سؤال يبدو غريبا للوهلة الأولى، مع أن غرائب هذه المرحلة البائسة لم تعد تحصى على كثير من الأصدقاء □

إذا كلف مراقب غريب نفس عناء متابعة "العربية" وشريكاتها؛ بجانب أبواب "الثورة المضادة" في مواقع التواصل، فلا شك أن إجابته على السؤال ستكون (نعم).

نعم، لا شك أنهم يسيرون على الماء، ويطيرون في الهواء، وإلا فكيف يتأتى لهم أن يحركوا أعضاء في الكونغرس الأمريكي، وبرلمانات دول أخرى كبيرة، ويتحجّموا بوسائل إعلام عالمية، ويمارسوا "الإرهاب" في طول العالم وعرضه، ويتحجّموا بالمناهج؟! □

لو تتبعته التهم التي تم إلصاقها بهم منذ انطلاقة الربيع العربي لأدركت أنهم لا يسيرون على الماء ويطيرون في الهواء وحسب، بل يملكون "طاقية الإخفاء" أيضا، بحيث يمكنهم التسلل إلى أي موقع والتحكم به □

دعك أيضا من حكاية عشرات المليارات التي يُشاع أنهم يتحجّمون بها، رغم أن كثيرا منهم مشرّدون يطاردون لقمة العيش، ورغم أن أموال عناصرهم الشخصية قد تمت مصادرتها في بلد "التأسيس"، وفي بلاد أخرى □

لهذه الظاهرة العبيثة أوجه شتى يمكن الحديث عنها، وكلها تعكس حالة "الهستيريا" التي تتلبس من يطاردون "الإخوان"، لعل أولها ذلك التناقض السافر في الخطاب □

ففي حين يمكن متابعة خطاب سياسي وإعلامي يتحدث عن "الإخوان"، كأنهم كما ذكرنا في العنوان وما بعده، فإن الوجه الآخر للخطاب هو ذلك الذي يسجّفهم على نحو يجعلهم أناسا سطحيين وبائسين لا يدرون من أمر دينهم ولا دنياهم شيئا، ولا مصداقية لهم، ولا جماهيرية أيضا □

الوجه الآخر المهم الذي يمكن الحديث عنه في هذا السياق هو أن هذه الهستيريا التي تتلبس مطاردي الإخوان، لا صلة لها البتة بالأيديولوجيا، بل بمتلازمة الخوف من دعوات الإصلاح السياسي، والتعددية والمشاركة السياسية □ ولو حدث أن كان من يتصدرون المشهد منذ ربيع العرب من لون أيديولوجي آخر، لما كان مصيرهم مختلفا عن الإخوان، بدليل أن كثيرا ممن وقفوا ضد "الجماعة" في مصر، وشاركوا في الانقلاب، لم يكن مصيرهم مختلفا من حيث الملاحقة، باستثناء من صمت منهم بعد ذلك صمت القبور، بل إن دولاً أخرى، لم تعد تحاسب على الكلام وحسب، بل على الصمت أيضا، وصار كل عالم يتحدث في السياسة محسوبا على الإخوان، حتى لو كان ممن يكرهونهم، والأمثلة كثيرة □

ثمة وجه ثالث يمكن الحديث عنه في السياق يتعلق بحجم الدعاية التي يوفّرها مطارديو الإخوان للجماعة □ ولك أن تتابع مواقع التواصل الاجتماعي حتى تعثر على جحافل من الناس لم يعرفوا الإخوان إلا من خلال الهجوم اليومي عليهم، وتراهم يعلنون التأييد لهم ردا على تلك الهجمة، ولسان حالهم يقول: إذا كان هؤلاء الذي يكرهون حربة شعوبنا تحررها، ويتواطؤون مع العدو الصهيوني، هم أعداء الإخوان، فهذا يعني أن الإخوان على حق، لا سيما أنهم لا يقتلون أحدا، بل يُقتلون ويُعتقلون بلا حساب، في عدد لا يحصى من الدول □

لك أن تتابع مواقع التواصل الاجتماعي حتى تعثر على جحافل من الناس لم يعرفوا الإخوان إلا من خلال الهجوم اليومي عليهم

صحيح أن أخطاء "الإخوان" كثيرة، كما يراها عدد لا بأس به من الناس، بجانب ما كتبت عنه شخصيا فيما يتعلق بالبضاعة المزجاة في المضمار السياسي، ولكن لسان حال أولئك يقول أيضا إن "من طلب الحق فأخطأه، ليس كمن طلب الباطل فأدركه".

النتيجة التي يمكن الحديث عنها في هذا السياق هو أن الهجمة الراهنة لا توفر دعاية مجانية للإخوان وحسب، بل تؤكد أيضا أنهم سيظلون تيارا مهما لا يمكن لسياسات السحق أن تحذفه من الساحة السياسية، وذلك هو السبب الذي يدفع مطارديهم إلى استهداف التدين، بل الدين من حيث أتى؛ قناعة بأنه هو من يوفر الحاضنة الشعبية التي تسمح لهم بالحضور والتمدد، لكنهم لا يدركون أيضا أن هذا اللون من الاستهداف يعزز كراهية المطاردين (بكسر الراء) في الوعي الشعبي، لأنه يجعل حربهم ضد الإسلام، وليس ضد الإخوان وحسب؛ من دون أن يعني ذلك أن ينام "الإخوان"، وسائر الإسلاميين في العسل، إذ عليهم أن يفعلوا المستحيل للمحافظة على "منجز" الصحة التي جاءت نتاج عقود من الجهد والجهاد، وجوهرها استعادة الأمة لحريتها وحضورها ودورها على كل صعيد□